العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ -جَامِعِيَّةٌ- مُحَكَّمَةٌ

تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد 38

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

1446 هـ 2024 م

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL
Vol. thirty eight
2024

- تأملات حول قانون الترابط في آيات الآفاق والأنفس والقرآن.
- طريقة الرسول ﷺ في تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته.
- السنة في اصطلاح مدرسة المدينة المنورة.
- الدعوة الإسلامية وآثارها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.
- في مدلول مصطلح البلاغة وأهمية علومها وأهدافها.
- عرض كتاب التفسير الموضوعي للخالدي ونقد لمنهجه.

1446 هجرية الموافق 2024 ميلادية

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية وأثرها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره

د. عبد الحميد إبراهيم سلطان
جامعة المرقب الخمس وكلية الدعوة الإسلامية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الدعوة الإسلامية وأثرها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره، فمن الضروري أن يتمتع الداعي -والذي يعتبر من أهم ركائز الدعوة- بصفات عقلية ودينية؛ منها: الاتصاف بالصفات الحميدة حتى يكون قدوة حسنة للمدعوين، فالأسلوب الحسن، والكلمة الطيبة يجريان مع دم السامع في عروقه، فتفتح سمعه، وتشد بصره، وتشرح صدره، وتلين فؤاده.

والمقصود من هذا: اهتمام الداعية بأسلوبه، وتركيز المربين والعلماء على إصلاح أساليب الدعاة، لما للأسلوب من أثر كبير في نجاح الداعية، وقبول دعوة الحق. وللدعوة إلى الله أثر عظيم في توجيه الناس إلى الفهم السليم للدين الحق، إذ لا قوام للحياة إلا بها، فهي تلبية لنداء الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها، ومبعث السعادة والطمأنينة للنفس البشرية، والمنقذ لحياتهم من الضلال والضياع، وهي السبيل الصحيح لنبذ الخلافات الفكرية نتيجة التطرف الفكري في بعض مسائل الدين، وهنا تكمن مشكلة البحث، حيث يهدف إلى معرفة أثر الدعوة إلى الله في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.

ولقد اعتمد البحث على المنهج التكاملي لتقديم رؤى مفيدة حول كيفية فهم الدعوة الصحيحة، وظهرت عدة نتائج حول هذا الموضوع من أهمها أنّ الأصول التي تنبني عليها الدعوة خمسة: الداعي والمدعو والموضوع والوسيلة والأسلوب.

ختاما يجدر التنويه إلى أنّ العقيدة والأخلاق هما أساسان وسببان في إصلاح الأعمال والمجتمع، وأنّ أهم قواعد تحقيق منهج الإصلاح الاجتماعي هي: تصحيح التفكير وإصلاح العقيدة والعبادات والنفس والأخلاق، وحسن المعاملة بين الناس.

الكلمات المفتاحية: الدعوة الإسلامية، المجتمع، الأخلاق، الداعي، المدعو.

Research Summary

This research deals with the Islamic call and its impact on reforming the society and achieving its security and stability. It is necessary for the preacher - who is considered one of the most important pillars of the call - to possess intellectual and religious abilities such as having good qualities so that he can be a good example for those *who are invitees*. A good manner and a kind word flow with the listener's blood in his veins, opening his hearing, sharpening his sight, opening his chest, and softening his heart .

What is meant by this is that the preacher's approach has a great impact on the success of the preacher and the acceptance of the call of truth. The call to God has a great impact in directing people to a sound understanding of the true religion, as there is no basis for life without it. It is a response to the call of the common sense with which God created people, a source of happiness and reassurance for the human soul, and a savior of their lives from misguidance and loss, and it is the correct way to reject intellectual differences. As a result of intellectual extremism in some issues of religion, and here lies the problem of the research, as this research aims to investigate the impact of calling to God in reforming society and achieving its security and stability.

The research relies on the integrative approach to provide useful insights into how to understand the proper way to call people to Islam. Several results emerged from this research, the most important of which is that the principles upon which the call

is based are five: the caller, the invitee, the subject, the means, and the method .

In conclusion, it is worth noting that belief and morals are the foundations and reasons for reforming the actions and society, and that the most important rules for achieving the social reform methodology are correcting thinking, reforming belief, acts of worship, the soul and morals, and good treatment among people.

Keywords: Islamic call (Calling Others to Islam); Society; Morals, Caller, Invitee.

❖ **المقدمة**:

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أشرف المرسلين وخاتم النبيين والمرسلين، الذي أُرسل رحمة للعالمين، وبعد:

فمما لا شك فيه أن للدعوة إلى الله أثرا عظيما، وأن الناس في أشد الحاجة إليها؛ إذ لا قوام للحياة إلا بها؛ فهي تلبية لنداء الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها، وهي مبعث السعادة والطمأنينة للنفس البشرية والمنقذ لحياتهم من الضلال والضياع، فالدعوة إلى الله تجسد الإيمان الحقيقي بالله فتطمئن قلوب الناس وتستقر حياتهم به، وتوصلهم إلى الدين الحق، الذي هو الملاذ الوحيد للناس، عندما تعصف بهم رياح الحياة العاصفة بما تحمله من أهوال وأحوال، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [1] وقال تعالى: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ**﴾ [2].

❖ **مشكلة البحث**:

تتلخص فيما صار يظهر من فساد عقدي، وسوء خُلقي، وتطرف فكري في بعض مسائل الدين، بين كثير من الشباب المسلم، نتيجة تقصيرهم في البحث عن الطريق المثلى للدعوة وانحرافهم عن الطريق السليم المعتدل؛ حتى بات من الضروري إصلاح ما فسد، وتقوية إيمان من ضعف، بتصحيح الدعوة إلى الله، القائمة على مصادرها السليمة، وأصولها ومناهجها المعتدلة ووسائلها المتجددة وأساليبها المباحة؛ لأنه كلما كانت الدعوة

(1) يوسف، 108.

(2) النحل: 125.

قائمة على ذلك كانت نتيجتها أقرب إلى الإصلاح، وأثرها أبعد عن الفساد. ومن هنا يمكن إثارة المشكلة من خلال التساؤلات الآتية: ما المقصود بالدعوة إلى الله، وما مصادرها؟ وما أصولها؟ ومناهجها؟ وما أثرها في إصلاح المجتمع واستقراره؟.

- **أهداف البحث**:

الهدف الرئيس للبحث هو:

معرفة أهم آثار الدعوة إلى الله في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.

وهناك أهداف إضافية للبحث من أهمها:

1) بيان المقصود بالدعوة إلى الله ومصادرها.
2) معرفة أصول الدعوة
3) بيان مناهجها.

- **أسباب اختيار البحث**:

يمكن ذكر أسباب اختيار هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1- معرفة مصادر الدعوة الإسلامية، وربط صلاح المجتمع بالتمسك بها.
2- معرفة أصول ومناهج الدعوة في زمن غابت فيه هذه الأولويات.

- **أهمية البحث**:

وتبرز أهمية البحث فيما يلي:

1- بيان أن الدعوة وإصلاح المجتمع إنما هو مشروع يساهم في إسعاد المجتمع ويحقق أمنه واستقراره إذا ما تم تطبيقه والمحافظة عليه.
2- إبراز المرتكزات التي تقوم عليها أصول ومناهج الدعوة، وتحديد مسارها لتتحقق للمجتمع مصالحه المرجوة من ذلك.

- **الدراسات السابقة**:

- دراسة بعنوان الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية وآثارها الأمنية, للباحث عمر حمد الغبيري، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المملكة العربية السعودية، يناير 2023م. تهدف الدراسة إلى التعريف بالدعوة والأخلاق الإسلامية، والأساليب والوسائل الدعوية المناسبة لتلك الدعوة، وأثرها على الأمن وأهميتها،

وتأثيرها الإيجابي في الأمن النفسي والاجتماعي، وإظهار جهود المملكة السعودية واهتمامها بالدعوة عموما، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية خصوصا.

وكان من أهم نتائجها أن إرشاد البشر للمنهج الرباني السليم وشرع الله القويم، ينعكس إيجابا على حياتهم فيحصل الأمن والاستقرار حين يتبع الهدى وحين يأتمر الخلق بما أمر به الخالق وما حث عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من تخلق بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة. كذلك من نتائجها أنها تاج وترابط ومحبة ومودة وإيثار وتعاون بين أفراد المجتمع، وتغليب للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة وبعد عن الأنانية.

- أثر الثقافة الإسلامية في استقرار المجتمع اليمني، دراسة وصفة تحليلية، للطالب عبدالواحد ناجي أحمد الحميدي، رسالة دكتوراه في الثقافة الإسلامية، أم درمان، 2013م، وتضمنت أربعة أبواب على النحو التالي:

تعرض الباب الأول إلى تحديد ومصطلحات ومفاهيم البحث، ويأتي الباب الثاني: ليتحدث عن فضائل أهل اليمن في فصلين. وفي الباب الثالث: تحدث عن أثر الثقافة الإسلامية في الاستقرار الاجتماعي من خلال أربعة فصول، الأول عن إقامة العلاقات الخاصة بين الأفراد، أما الفصل الثاني فتعرض إلى أثر العلاقات العامة بين الأفراد. وفي الفصل الثالث أثر الأمن الاجتماعي. ثم تحدث في الفصل الرابع عن أثر الضوابط الأخلاقية في المعاملات.

وفي الباب الرابع: تكلم عن أثر الثقافة الإسلامية في الاستقرار السياسي في ثلاثة فصول هي: الفصل الأول الأثر الداخلي، والفصل الثاني: الأثر الخارجي، والفصل الثالث: عن الأثر في إعمال الضوابط والشروط.

❖ **منهج البحث**:

المنهج المستخدم في هذا البحث هو: المنهج التكاملي.

❖ **هيكلية البحث**:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة على النحو الآتي:

مقدمة: وتشتمل على مشكلات البحث وتساؤلاته، وأهدافه، وأسبابه، وأهميته، ومناهجه، وهيكليته.

المطلب الأول- مصادر الدعوة الإسلامية ويتضمن خمسة مطالب:

الفرع الأول- القرآن الكريم.

الفرع الثاني- السنة النبوية المشرَفة.

الفرع الثالث- السيرة النبوية.

الفرع الرابع- سيرة الخلفاء الأربعة والتابعين.

الفرع الخامس- تجارب العلماء المسلمين والمصلحين في هذا المجال.

المطلب الثاني- أصول الدعوة، ويتضمن خمسة مطالب:

الفرع الأول- الداعي.

الفرع الثاني- المدعو.

الفرع الثالث- الموضوع.

الفرع الرابع- الوسائل.

الفرع الخامس- الأسلوب.

المطلب الثالث- مناهج الدعوة وأثرها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره، ويتضمن أربعة مطالب:

الفرع الأول- المنهج العاطفي.

الفرع الثاني- المنهج العقلي.

الفرع الثالث- المنهج الحسي التجريبي.

الفرع الربع- أثر الدعوة في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره.

الخاتمة- وتتضمن نتائج البحث والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع

المبحث الأول-مصادر الدعوة الإسلامية

المطلب الأول- القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمدٍ ﷺ بلسانٍ عربي مبين، المكتوب في السطور المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز في لفظه ومعناه، المُتَحَّدى بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس،

الثابت ثبوتا قطعيا، المتكفل بحفظه من الله تعالى، القابل للتطبيق، الذي جاء مؤيدًا للكتب السابقة عليه ومصدقًا لها، ومهيمنًا عليها [1].

ومن مزاياه: الربانية، والكمال والوضوح والإبانة والشمول والتوازن والانسجام المحتوي على شريعة عامة وصالحة لكل البشر فيها ما يسعدهم في الدنيا والآخرة [2].

المطلب الثاني- السنة النبويَّة:

السنة في اللغة تعني الطريقة [3]، وفي الاصطلاح تعني: كلَّ ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل، أو تقرير غير القرآن [4]، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي؛ لقول النبي ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» [5].

وتأتي السنّة مبينة للقرآن الكريم، ومفصلة له؛ مثل بيان كيفية الصلاة والزكاة...إلخ[6]، وبيان منظومة الأخلاق التي جاء بها القرآن، وكيفية تعامل النبي ﷺ بها مع كل أنواع البشر من حوله، وكيف طبَّق النبي ﷺ أحكام ما جاء به القرآن على نفسه، وعلى المجتمع المسلم، الذي كوَّنه وبناه طِيلة الثلاث والعشرين سنة -التي عاشها بعد النبوة-.

المطلب الثالث- السيرة النبوية:

وتعني تاريخ حياة النبي ﷺ وبيان طريقته فيها، وسيرته ﷺ هي التطبيق العملي للقرآن الكريم والحالة التي يكون عليها الإنسان مقتديا بسيرته ﷺ[7]. ويجب على العاملين في مجال الدعوة فهم سيرته ﷺ فهمًا صحيحًا؛ نظرًا لاختلافها من موطن لآخر؛ فقد تكون بعض أعماله تشريعية مُوحَى بها، وبعضها بصفته قاضيًا يفصل بين الخصمين، وثالثة بصفته إمامًا، وبعضها بصفته بشرا، ولكل نوع من هذه التصرفات

(1) ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص: 123.

(2) المصدر نفسه، ص: 124. وما بعدها

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة: سنن).

(4) ينظر: مختصر المنتهى، ابن الحاجب 2/ 290.

(5) أخرجه مالك، في الموطأ كتاب: المسالك في شرح موطأ مالك، باب: النهي عن القول بالقدر، ح 471.

(6) ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص: 135.

(7) المصدر نفسه، ص: 140.

دلالته وأحكامه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (1).

المطلب الرابع- سيرة الخلفاء الأربعة والتابعين:

يعد أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أفضل أصحاب النبي ﷺ بإجماع الصحابة ﷺ قال البيهقي:" وَرَوَيْنَا عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيّ"(2)، تعتبر سيرتهم امتدادًا طبيعيًا لسيرة النبي ﷺ وتطبيقًا عمليًا لمنهجه؛ حتى لا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم وحده، وإنما تشمل سيرة خلفائه والتابعين من بعده كذلك، ولئلا يتوهم واهم أنَّ إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا لا تكون إلاَّ في زمانهﷺ وتتوقف بوفاته؛ فقامت الحجة بسيرتهم؛ كما قامت بسيرة الرسول ﷺ(3).

المطلب الخامس- تجارب العلماء المسلمين والدعاة في مجال الدعوة:

تعد تجارب العلماء المسلمين والدعاة وتصرفاتهم في الواقع الدعوي مصدرًا مُهِمًّا من مصادر الداعية؛ يعينه على فهم المصادر السابقة، واستنباط الأحكام منها؛ لأنها تطبيقات عملية لمنهج الرسول ﷺ وهو مصدر تبعي غير معصوم، ينبغي عدم تغافله، على ألا ينزه عن الأخطاء والسلبيات، ذلك أن الدعوة إلى جانب كونها نصوصًا شرعية، وأحكامًا فقهية فهي أفهام بشرية، واستنباطات علمية، وموازنات دقيقة لا يحسنها إلا أهلها، وهم العلماء والدعاة العاملون في مجال الدعوة؛ بحيث يستفيد الدعاة بوقائع علماء عصرهم، وتجارب الدعاة المعاصرة(4).

(1) الأحزاب: 21.

(2)الاعتقاد والهداية، البيهقي، ص:368.

(3) ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص: 147.

(4) المصدر نفسه، ص: 148.

المبحث الثاني- أصول الدعوة

المطلب الأول- الداعي:

يعد الداعي أهم أركان العملية الدعوية؛ فهو ركنها الأول، وعليه مدارها؛ والداعي: هو المبلغ لدعوة الإسلام، والمعلم له، والساعي لتطبيقه في الحياة [1]. وهو المحرك للدعوة بواسطة مزاياه الإنسانية التي تساعده في نقل الدعوة من خلال الوسيلة المناسبة إلى المدعوين، ومن الضروري أن يتمتع الداعي بصفات عقلية ودينية؛ منها: الاتصاف بالصفات الحميدة حتى يكون قدوة حسنة للمدعوين قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [2].

المطلب الثاني- المدعو:

المدعو هو:" من توجه إليه الدعوة، وهو الإنسان مطلقًا مسلمًا أو كافرًا، ذكرًا كان أو أنثى"[3]. والمدعوون عنصر أساسي من عناصر الدعوة، وكان رسول الله والرسل من قبله -صلوات الله وسلامه عليهم- يراعون أحوال المدعوين مراعاة حكيمة؛ فقد فطر الله الناس على صفات متفاوتة، وإدراكات متباينة؛ فمنهم صاحب الحس المرهف والطبع الرقيق، الذي يتأثر بالعاطفة، ويستجيب للموعظة، ومنهم العقلاني ذو التفكير، الذي يناسبه المنهج العقلي، ومنهم المجادل العنيد الذي يناسبه المنهج الجدلي، وعليه ينغى أن يخاطب كل صنف بما يناسبه في إطار الشرع الحنيف. قال تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ**﴾ [4] ولهذا فمن الخطأ ما يفعله بعض الدعاة، من عدم مراعاة أحوال المدعوين؛ فترى أحدهم يحفظ خطبة جمعة، أو موعظة، أو يلقي محاضرة على المدعوين – في كل زمان ومكان- رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية والعلمية، والعقلية[5].

(1) ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها– وسائلها- أساليبها في القرآن الكريم، أحمد غلوش ص 49. ومدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، ص153.

(2)الأحزاب: 21.

(3) مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص: 169.

(4) النحل: 125.

(5)ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد،4/ 36.

المطلب الثالث- موضوع الدعوة:

موضوع الدعوة: الإسلام بمضمونه الشامل؛ دعوة وتبليغًا ونشرًا وتعليمًا وتطبيقًا؛ فيشمل الجانب العقدي؛ وهو الإيمان بأركانه الستة، التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[1].

ويلحق بها جميع المسائل العقدية التي جاء بها الاسلام، ويطلق عليها: اسم النظام العقدي في الإسلام. كما يشمل الجانب التشريعي: ويضم جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام -سواء على المستوى الشخصي، والأسري، أو على المستوى العام (المجتمعي)- فيضم ما يسمى بنظام العبادة، ونظام المعاملات، والاقتصاد، والأحوال الشخصية، ونظام الحكم والسياسة، والاجتماع، وما هو مبين في كتب الفقه والأحكام. كما يشمل موضوع الدعوة الجانب الأخلاقي، أو نظام الأخلاق في الإسلام، ويقصد به الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة التي جاء بها الإسلام وحث عليها ومنها قول الرسول: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].[3].

المطلب الرابع- وسائل الدعوة:

الوسيلة هي: مجموع الطرق المؤدية إلى تبليغ الدعوة الإسلامية، وإيصالها إلى عموم المدعوين وتأخذ الوسيلة شكل الأدوات والأوعية الحِسِّية والمعنوية؛ لنقل مضمون الدعوة إلى الناس[4]، كما تُعرَّف بأنها: "الكيفية العملية، التي تنتقل الدعوة من خلالها من مصدرها إلى من يراد إيصالها إليهم بأساليب مختلفة"[5]؛ ذلك أن الله ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل، قال تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[6]،[7].

(1)جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإسلام والإيمان والإحسان، ح8، 36/1.

(2)رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام، ح8.

(3)مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ص: 183 – 193.

(4) ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، ص: 183.

(5) الدعوة الإسلامية أصولها -وسائلها- أساليبها في القرآن الكريم، ص 41.

(6) المائدة: 35.

(7) ينظر: وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مجلة دراسات دعوية العدد 16، يونيو 2008م.

وتنقسم الوسائل إلى ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

1- الوسائل المعنوية أو العِلْمِيَّة (الأسلوبية): وهي طريقة مخصوصة بالبيان والتعليم والبلاغة كالدرس، والمحاورة، والمناظرة، والدورات العلمية، وما شابه ذلك.

2- الوسائل الحِسِّيَّةُ (المادية) وأنواعها: وهي وسائل تتكون من المادة؛ كالحديد، والورق، والتراب وغيرها، مثل: مكبر الصوت، والمنبر، والحاسوب، والإذاعة، والصحف، والكتب، وجميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة، وترتكز هذه الوسائل على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب، وعلى العلوم التجريبية.

3- الوسائل العَمَلِيَّة: وهذا النوع من الوسائل لا يعتمد على الكلمات والأساليب والصور، وإنما يظهر من خلال العمل والحركة. ومن خلال هذه الوسائل العملية يتم نقل الفكرة بالقدوة والمثال. وهي مهمة جدا؛ فقد انتشر الإسلام في مواطن عديدة من الأرض بواسطة التجار والعمَّال المسلمين؛ لأنهم عاشوا الإسلام عمليًّا، وكانوا قدوة لمن تعاملوا معهم والتقوا بهم، وبذلك تؤثر القدوة في الناس بلا حديث أو مقال[1].

المطلب الخامس- أساليب الدعوة:

الأساليب جمع أسلوب، وهو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا؛ أي: طريقته ومذهبه وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته [2]. فالأسلوب عبارة عن: ألفاظ مختارةٍ مركَّبة في صيغ مؤلفة للتعبير عن المعاني المطلوب إيصالها للآخرين؛ قصد الإيضاح والتأثير، والأداة الناقلة للأسلوب هي الوسيلة.

ولبيان ذلك؛ لنتصور خطيبًا يتكلم عن موضوع مهم كالتوحيد، بمنهج سليم، وقواعد صحيحة من حيث الموضوع، ومن حيث التدرج بالمدعوين، ومن حيث طرح الأدلة. إلا أنه كان فظًّا في كلماته، عابسًا في وجهه، ضعيفًا في صوته، أو عاليًا في نبراته، ركيكًا في عباراته، فوضويًّا في ترتيب أفكاره، مرتفعًا في مستوى عرضه، معقدًّا في تركيب جمله، يختار الألفاظ الصعبة والأسلوب الهجومي.

(1)ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص 183.

(2)ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة: سلب).

إن الأسلوب الحسن، والكلمة الطيبة ليجريان مع دم السامع في عروقه، فتفتح سمعه، وتشد بصره، وتشرح صدره، وتلين فؤاده، وتغذي نفسه بغذاء القبول، وتدفع قلبه للتذكُّر والخشية، ثم الاستجابة إذا كان الله يريدها له، لعله يتذكر أو يخشى.

والمقصود من هذا: اهتمام الداعية بأسلوبه، وتركيز المربين والعلماء على إصلاح أساليب الدعاة، لما للأسلوب من أثر كبير في نجاح الداعية، وقبول دعوة الحق.

والآية الجامعة لأساليب الدعوة هي قوله تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ**﴾[1]. وتعني **الحكمة** قول ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي بالطريقة التي تنبغي، وذلك بالنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. والحكمة يشمل تحليلها إلى العناصر المكونة لها، وهي على ما يبدو ثلاثة: الذكاء، والمعرفة الواسعة، والإرادة الصّلبة؛ حيث تُكوِّن معًا الحكمة، وعلى مقدار كمال هذه العناصر يكون كمالها. لكن الذكاء بمفرده لا يجعل الإنسان حكيمًا، كما أن المعرفة دون ذكاء تجعل استفادة صاحبها منها محدودة، وتجعل وظيفته مجرد الحفظ والنقل، والمعرفة دون ذكاء تؤخر ولادة الموقف الحكيم، ولا يكفي الذكاء وحده، ولا الخبرة الواسعة في جعل الإنسان حكيمًا مالم يمتلك قوة الإرادة إذ إنها وحدها هي التي تجعلنا ننصاع للأمر، وهي التي تنتج سلوكًا يختفي فيه الفارق بين النظرية والتطبيق.

أما **الموعظة الحسنة**: فيقصد بها النصح والتذكير بالعواقب، والأمر بالطاعة والتوصية بها والصبر عليها، وهي جماع معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك معنى النصيحة والتي تعد جماع الدِين كله وقد جعل النبي النصيحة أساس الدين، قال ﷺ «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [2]. والنصيحة مرادفة للموعظة الحسنة، والموعظة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفقٍ، وتتعمق في المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهلٍ أو حسنِ نيَّةٍ. فإن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي

(1) النحل: 125.

(2)أخرجه مسلم في كتاب: المسند الصحيح ،بَاب: بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم (55)، 74/1.

القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ. وتكون الموعظة الحسنة بالقول الصريح اللطيف اللين، لقوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [1]، وتكون بالإشارة اللطيفة المفهومة، وبالتعريض والكناية المؤدية إلى المعنى المقصود، وبالقصَّة والخطابة المؤثرة وبالفكاهة أحيانًا، وبالتذكير بالنعم المستوجبة للشكر، وبالذم والمدح، وبالترغيب والترهيب، وبالتحمُّل والصبر، والوعد بالنصر والتمكين، وكل أسلوب مباشر، أو غير مباشر يؤثر في المدعوين، ويدفعهم إلى الطاعة والاستجابة.

أما الجدل: فهو دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو برهان، وهو مقابلة الأدلة ببعضها لظهور أرجحِها. والمجادلة: المناقشة والمخاصمة، والجدل: اللَّدد في الخصومة والقدرة عليها [2]. والجدل المقصود هنا: هو الجدل " الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب"[3]. ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيَّدًا، قال الله تعالى: ﴿ **وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ** ﴾ [4]. والْجدل بالتي هي أحسن يكون بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح حتى يطمئن المدعو إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في اللدد، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق؛ حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تَختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس؛ فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلًا عن هيبتها واحترامها وكيانها، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها .في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر.

(1) البقرة: 83.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة: جدل).

(3) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص 264.

(4) النحل: 125

المبحث الثالث-مناهج الدعوة وأثرها في إصلاح المجتمع واستقراره:

المطلب الأول- المنهج العاطفي:

المنهج العاطفي هو: مجموع أساليب الدعوة، التي تخاطب القلب، وتحرك الشعور والوجدان،[1] ومن أبرز أساليب المنهج العاطفي واستعمالاته:

أولا- من أبرز أساليبه:

أ- **أسلوب الموعظة الحسنة**: وهو ما نص عليه القرآن الكريم نصًا صريحًا، وأمر باستخدامه حيث قال تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ**﴾[2].

وأشكال هذا الأسلوب كثيرة منها:

1- الخطابة، وترتكز على منهجين هما: المنهج العقلي والمنهج العاطفي.

2- التذكير بنعم الله على عبده المستوجبة شكره.

3- مدح المدعو، أو ذمه بغية الصلاح والإصلاح.

4- الترغيب والترهيب.

5- الوعد بالنصر والتمكين.

6- ذكر القصص العاطفية المؤثرة.

ب-أسلوب إظهار الرحمة والرأفة بالمدعوين.

ج- قضاء الحاجات وتقديم المساعدات وتأمين الخدمات[3].

ثانيا- أما أبرز استعمالاته فمنها:

1- في حالة دعوة الجاهل.

2- في حالة دعوة من تُجهل حالته.

3- في حالة دعوة أصحاب القلوب الضعيفة.

4- في حالة دعوة الأقارب بعضهم بعضًا.

5- في مواطن ضعف الدعوة، والشدة على المدعوين[4].

(1) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص 264.

(2) النحل: 125.

(3) المصدر نفسه ص: 205- 206.

(4) المدخل إلى علم الدعوة ، ص: 206.

المطلب الثاني- المنهج العقلي:

وهو المنهج الدعوي الذي يتوجه لمخاطبة العقل، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار[1]، ومن أبرز أساليبه واستعمالاته:

أولاً- من أبرز أساليبه:

أ- **مخاطبة العقل ومحاكماته**: وذلك باستخدام الأقيسة بجميع أشكالها، ومن ذلك:

1- قياس الأولى.

2- القياس المساوي.

3- قياس الخَلْفِ (قياس العكس).

4- القياس الضمني.

ب- ضرب الأمثلة.

ج- القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي.

د- الجدل والمناظرة والحوار[2].

ثانيا- أما أبرز استعمالاته فمنها:

أ- في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة، والبديهيات العقلية، مثل قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ** ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا**ۚ ﴾[4].

ب- مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوين؛ لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم.

ج- مع المنصفين من الناس، البعيدين عن التعصب لآرائهم، والمتجردين من الأغراض الخاصة.

د- مع المتأثرين بالشبهات، والمخدوعين بالباطل[5].

المطلب الثالث- المنهج الحسي التجريبي:

(1)المدخل إلى علم الدعوة ، ص: 208.

(2) المصدر نفسه ، ص: 208- 211.

(3) الطور: 35

(4) الأنبياء: 22

(5) المدخل إلى علم الدعوة، ص 212.

وهو المنهج الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب، ويطلق عليه مصطلح المنهج العلمي؛ لاعتماده على العلوم التجريبية إلا أن تسميته بالمنهج الحسِّي أو التجريبي أوضح وأدق[1]. ومن أبرز أساليبه واستعمالاته:

أولا- من أبرز أساليبه:

أ- لفت الحِسّ إلى التعرف على المحسوسات؛ للوصول عن طريقها إلى القناعات كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [2]. وقو تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [3].

ب- أسلوب التعليم التطبيقي على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به، والمدعو إليه، كما فعل النبيﷺ في دعوته لتعلم الصلاة، والحج.

ج- القدوة العملية في تعلم الأخلاق والسلوك، وقد كان النبيﷺ القدوة العملية للمؤمنين.

د- تغيير المنكر باليد، وإزالته على وجه يشاهده صاحب المنكر، ويعدُّ أقوى درجات الإنكار.

هـ- تأييد الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- بالمعجزات الحسية والخوارق كما حدث مع الرسل السابقين، ومع رسولنا محمدﷺ ، وهو منهج حّسيّ للإقناع.

و- أسلوب التمثيل المسرحي، وعرض بعض الأمور الدعوية على خشبة المسرح، كما أصبح مألوفًا في هذا العصر[4].

(1)المدخل إلى علم الدعوة ، ص214 .

(2) الذاريات: 20 – 23.

(3) فصلت: 53.

(4) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص: 214 – 216.

ثانيا- أما أبرز استعمالاته فمنها:

أ- غرس المفاهيم الدينية في قلوب المدعوين.

ب- تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها.

ج-استخدامه في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية، ويعين ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة

د- استخدامه في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية، والمنكرين للبديهيات العقلية؛ لأن المعاندين لا تفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام مادية محسوسة [1].

المطلب الربع: أثر الدعوة في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره

لا صلاحَ للمجتمع دون إصلاح الفرد في عقيدته من الشرك، وفي أخلاقه من المفاسد والمساوئ. فالعقائد والأخلاق هما أساس إصلاح الأعمال والمجتمع؛ إذ العقائد السليمة هي قاعدة الإصلاح الاجتماعي؛ ذلك أن ما بلغه المسلمون من تدهور مردُّه إلى تدهور في عقيدتهم، وتطرق الشرك الخفي إليهم، ولذلك فلا علاج لهذا التقهقر إلا بإصلاح العقيدة، يقول ابن باديس: «فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد لنا من حالتنا لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب، ولا ننهض بهذا العلاج العظيم إلا إذا قمنا متعاونين، أفراداً وجماعاتٍ؛ فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه، وبدأ به في نفسه، ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه، ثم في جميع أهل ملته. فَمَنْ جعل هذا من همِّه، وأعطاه ما قدر عليه من سعيه كان خليقا أن يصل إلى غايته، أو يقرب منها»[2].

كما يرى ابن عاشور أن للدين أثرا في تأسيس الحضارة الإسلامية، وكم للأديان الإلهية من أَيَادٍ في صلاح البشر، وفي تكوين الجماعات الصالحة؛ ليحصل من صلاح الأفراد والجماعات صلاح المجموع كله. فالدين الصحيح عاملٌ حاسمٌ في تطور المجتمع، وسبيلٌ

(1)المدخل إلى علم الدعوة ص: 217.

(2) التفسير(في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد بن باديس، ص126.

إلى الرشد الفكري، وطريقٌ إلى استكمال الحضارة الصحيحة[1]؛ إذ الأديان هي مبدأ إرشاد البشر إلى طرق الصلاح منذ ظهور الإنسان على الأرض[2].

وفي هذا الإطار يمكن القول بأن منهجية الإصلاح الاجتماعي عند الشيخين تستلزم مجموعة من المبادئ العامة، أو القواعد الكلية التي يجب مراعاتها عند تأسيس المجتمع الإسلامي والتي يمكن تقسيمها في جملتها إلى قسمين[3]:

القسم الأول: يشمل قواعد تحقيق المنهج الإصلاحي، والقسم الثاني: ويشمل عناصر الترابط الاجتماعي القائم على الأخوة، والتعاون، والمحبة، والإيثار وغيرها، مما يمكن استلهامه من دعوة القرآن والسنة إلى الاهتمام بالعلاقات الإنسانية، كما في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [4]، وكما في قول الرسول ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[5]. ويمكن القول بأن من أهم قواعد تحقيق منهج الإصلاح الاجتماعي ما يأتي:

1- **تصحيح التفكير والعقيدة**: فقد كان من مظاهر التجديد في فكر الشيخين الاجتماعي الاهتمام بإصلاح التفكير والعقائد، انطلاقا من توجيه القرآن دعوةً دائمةً للعقول إلى النظر والتذكُّر والتعقُّل والعلم والاعتبار، يقول ابن باديس: «فالمسلمون اليوم بما دانوا به من عقائد الإسلام، وفضائله وأعماله ونظمه على خير، لكنهم خرجوا على أكثر ما دانوا به، فكانوا بذلك الخروج في حالة فساد، فلا بد من إصلاحهم بإرجاعهم إلى ما خرجوا منه»[6]. وفي السياق نفسه يذكر ابن عاشور أنه باستقراء نواحي التفكير الواردة في الإسلام انتهى إلى أن المعلومات الحاصلة للمسلمين منها معلومات شرعية، ومنها

(1) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص27.

(3) ينظر: ابن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق، د. عبد الحميد درويش النساج، 71/2.

(4) الحجرات: 10.

(5)أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: 5665. 2238/5، ومسلم في كتاب: البر والصلة والأدب، باب: النهي عن السباب، حديث رقم: 2586. 2000/4 بلفظ: "المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

(6)ينظر: آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، تح: عمار طالبي، 3/ 547.

معلومات عقلية وأدبية ومنها معلومات فنية وصناعية. غير أن الأهم بإصلاح التفكير والمقدم في نظر الشرع هو العلوم الشرعية بأقسامها الراجعة إلى ما فيه صلاح الأمة[1].

ويكون إصلاح العقيدة بتعريف المسلمين عقائد دينهم الحقَّة كما جاءت في الكتاب والسنة نقية صافية، انطلاقا من أن الدعوة إلى تصحيح العقيدة تأصيل للتفكير عند المسلم في أول تلقيه للإسلام، وقد عاب القرآن عقائد الكفار بإظهار خطأ رأيهم، وإقامة الحجة عليهم بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾[2]، كما نهى القرآن عليهم التقليد قال تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ** ﴾[3]، فالإسلام لم يسلك بمعتنقيه في تصحيح العقيدة مسلك الآمر، بل دعاهم إلى صحة الاعتقاد ودليله، بِسَوْقِ الأدلة لهم كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[4].

2- إصلاح العبادات[5]: وذلك بتعليم المسلمين أن العبادات كلَّها تعود عليهم بالخير عاجلاً وآجلاً، ولا تعود على المعبود بنفع ولا ضر، قال تعالى:﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾ [6]، وقال في الْهَدْيِ في الحج: ﴿**وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾[7]، وقال في شأن الحج: ﴿**لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ** ﴾[8]، وقال في شأن الصلاة: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**﴾[9]، وقال في شأن الصوم: ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[10].

(1) ينظر: أصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 105.

(2) البقرة: 111.

(3)الزخرف: 22.

(4) آل عمران: 190.

(5) ينظر: التفسير ابن باديس، 171. و أصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، 100.

(6) الذاريات: 56 – 57.

(7) الحج: 36 – 37.

(8) الحج: 28.

(9) العنكبوت: 45.

(10) البقرة: 184.

3- إصلاح النفس بإيقاظ وازعها: ذلك أن صلاح النفس هو صلاح البدن كله، بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة؛ "فإذا فسدت النفس من ناحية العقد، أو ناحية الخلق، أو ناحية العلم، أو ناحية الإرادة ...فسد البدن، وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد"[1]، ولذلك فإن من أعظم العبر ما نشاهده في أحوال الخلق -أمماً وجماعاتٍ وأفراداً- من الاختلاف الشديد، في بواطنهم النفسية، وظواهرهم الجسدية، وذلك واقع بين أبناء الأمة الواحدة؛ فهم قد يتشابهون في تركيب أجسامهم، لكنهم يختلفون في وجود فروق تتمايز بها أشخاصهم، " كذلك نجدهم يتشابهون في شؤونهم النفسية، مع فروق لازمة تتمايز بها شخصياتهم، ويتبع هذا الاختلاف اختلافهم في إدراكهم، وتمييزهم، وأخلاقهم، وعاداتهم في ضلالهم وهداهم، وفي درجات الهدى، ودركات[2] الضلال" [3]، وهو يرى أن الله –تعالى- مكّن الخلق كلهم من الأسباب، وإدراك العقل، وحرية الإرادة، ثم فضل بينهم هذا التفضيل، فكان منهم المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، والشقي والسعيد.. ثم يخلص ابن باديس إلى أن معرفة فقه أسباب هذا التفضيل هو معرفة فقه الحياة والعمران والاجتماع[4]، ولهذا أمرنا الله –تعالى- بالنظر في أحوال هذا التفضيل بقوله تعالى:﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ**﴾ [5].

ولذلك فإنه "بعد أن بَنَى الإسلامُ لهذا الوازع أساسَ إثبات وجود الله وبعثه الرسل أقام هذا الوازع للنفوس بإثبات الجزاء عن كل عمل بمثله : ﴿**فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ**﴾[6]... فأوجد في النفوس الخوف والرجاء اللذين أشار إليهما في قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ**

(1) ينظر : تفسير ابن باديس ص73.

(2) الدركات: منازل سفلية بعضها تحت بعض، وهي ضد الدرجات التي هي منازل بعضها فوق بعض. ينظر : تفسير ابن باديس ص59.

(3)المصدر نفسه، ص 59.

(4)المصدر نفسه، ص 60.

(5) الإسراء: 21.

(6) الزلزلة: 7-8.

﴿ٱلۡأَلِيمُ﴾[1]، وهذا الأسلوب أفضل سياسة للنفوس؛ لأنه يجمع إثارة عاملي الخشية والمحبة"[2].

وكمثال على أهمية إيقاظ الوازع النفسي في إقامة الإصلاح الإنساني يضرب لنا ابن عاشور مثلا بما كان يحدث من المسلمين الأوائل بقوله: "وحسبك أن الجاني كان يجيء إلى رسول الله بدافع الوازع النفساني فيقر لديه بجنايته، ويسأله إقامة شرع الله عليه؛ ليطهره من جنايته، كما وقع للغامدية[3]، ولماعز[4] الذي أقرَّ على نفسه بالزنا"[5].

4-إصلاح الأخلاق: ذلك أن أزمة المسلمين تعود إلى تفريطهم في أخلاقهم الدينية، ولذلك كان من ركائز التجديد عند الشيخين ضرورة إعادة الاعتبار إلى القيم الإسلامية، ومنها الأخلاق؛ لاقتناعهما بأن أزمة المسلمين ذات أصل عقدي ديني، وأنه لا سبيل إلى الخروج منها إلا بإصلاح الذات من الداخل، والرجوع إلى تطبيق ما نادت به الشريعة، ولذا يُعتبر ابن باديس من المدرسة التي ترى أن الإصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أن الأخلاق تنبع من الداخل، وأن الوسيلة هي تطهير القلوب، وتغيير النفوس، وهذا يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية[6]، وهو بهذا يربط بين الإصلاح الاجتماعي، والإصلاح الديني انطلاقا من قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[7]، يقول ابن باديس: «إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر»[8]؛ أي: أن ابن باديس يعتبر أن

(1) سورة الحجر الآيتان 49-50.

(2) أصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص: 140.

(3) قصة الغامدية هذه مخرجة في صحيح مسلم، كتاب: المناقب (باب: من اعترف على نفسه بالزنا) 1322/3 حديث رقم: 1695. و في السنن الكبرى، للنسائي، كتاب الطب (باب: نوع آخر من الاعتراف) 283/4 حديث رقم: 7186، وفي 304/4 حديث رقم: 7271.

(4)قصة ماعز مخرجة في صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة (باب: هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت) 2502/6 حديث رقم: 6438. وفي صحيح مسلم، كتاب الحدود (باب من اعترف على نفسه بالزنا) 1319/3 حديث رقم: 1692، وفي 1320/3 حديث رقم: 1694.

(5) أصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص: 148.

(6) ينظر: ابن باديس حياته وآثاره د. عمار طالبي، 1/ 100-101. وفلسفة الإمام ابن باديس في الإصلاح والتجديد، د. بركات محمد مراد، ص 182.

(7) الرعد: 11.

(8) تفسير ابن باديس، ص: 150.

العناية الشرعية كلها متوجهة إلى إصلاح نفوس الأفراد، وأن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها مستشهدا بقول الله: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[1]، فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، فما من شيء شرعه لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع على النفس بالصلاح، وما من شيء نهى الله عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد على النفس بالفساد[2].

5- الحث على اكتساب العلم: ذلك أنَّ اكتسابَ العلم الصحيح والخُلُقِ المتين هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان[3]؛ ذلك أنه بقدر ما تكثر معلومات الإنسان، ويصح إدراكه لحقائقها، ولنسبها، ويستقيم تنظيمه لها تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول، وقسمي العلوم والآداب[4].

فإذا قلَّت معلوماته قلَّت اكتشافاته...وكذا إذا كثرت معلوماته، وأهمل النظر فيها فإنه يبقى جامداً حيث هو، ثم لا يلبث أن تتلاشى من ذهنه تلك المعلومات المهملة حتى تضمحل لأن المعلومات إذا لم يتعاهدها الإنسان بالنظر تزول من الحافظة شيئا فشيئا، وهذا هو طور جمود الأمم المتعلمة في أيامها الأخيرة عندما تتوافر السُّنن بسقوطها[5].

فالعلم هو الأصل الذي تنبني عليه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو الأساس لكل أمر من أمورهما، فالممالك إنما تبنى عليه وتُشاد، وبه تنظم وتُساس، وكل ما لم يبن على العلم فهو خراب، فالعلم سياج الدولة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي الذي به دفاعها، وكل دولة لم تُحمَ بالعلم فهي عرضة للانقراض، فما بني بالسيف فبالسيف يهدم، وأعلى الممالك وأثبتها ما بني على العلم، وحمي بالسيف[6].

وأخيرا يرى ابن عاشور أن من العلم المطلوب اكتسابه ما لا يتغير مع تغير الأزمنة والأحوال، كعلوم الشريعة، ووسائل إقامتها على الوجه الأكمل، ومنه ما يتغير مع تغير

(1) الشمس: 8 – 10.

(2) ينظر: تفسير ابن باديس، ص: 74.

(3)ينظر: تفسير ابن باديس، ص 99 وأصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 150.

(4) ينظر: تفسير ابن باديس، ص101.

(5) تفسير ابن باديس، ص 102.

(6) ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، 2/ 16-17.

الأزمنة والأحوال، وهو ما زاد على ذلك من العلوم الزمنية، مما هو مندرج في القياس على ما تضمنه رعي المقاصد الشرعية في حفظ مصالح الأمة، مع عدم الغفلة على أن ارتقاء الأمة في درج الكمال بوفرة علمائها[1].

ويمكن القول بأنه قد يفهم من سياق كلام ابن عاشور -المجدد- أن المقصود بالعلم مقتصر على علوم الدين، ولا علاقة له بالعلوم الدنيوية، لكن هذا الوهم سرعان ما يزول إذا أخذنا في الاعتبار اتساع مقصود العلوم الزمنية، وأيضا اتساع مفهوم مقاصد الشريعة في حفظ مصالح الأمة وارتقائها، إذ إن ذلك لا يتحقق إلا بالعلوم الشرعية والعلوم الدنيوية.

6- **السعي لتحصيل النجاة في الدارين**[2]: إذ الإسلام لم يجعل سعادة المرء منوطة بالبخت، أو القبيلة أو النسب، أو العصر، أو البلد، وإنما ناطها بمقدار ما يقدمه المسلم من عمل صالح في حياته الدنيا، قال تعالى:﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[5].

7-إصلاح المعاملة بين الناس: حيث إن التفكير في المعاملة بين الناس ينبني على الشعور بما لأجله احتـــاج المرء إلى المعاملة مع الناس، وعلى الإنصاف من النفس، قال تعـــالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟**﴾[6]، ذلك أنه إذا كانت الحكمة من تكوين القبائل والشعوب حصول التعارف وجب على الإنسان السعي إلى ما به يدوم هذا التعارف[7].

(1)ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، ، ص 154.

(2) ينظر: التفسير ابن باديس، ص61. وأصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 105.

(3) الزلزلة: 7- 8.

(4) النجم: 39 – 41.

(5)النحل: 32.

(6) الحجرات: 13.

(7)ينظر: أصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 104.

8-إصلاح الأحوال العامة للعالم [1]: وذلك لأن تصور الحالة العامة للعالم على خلاف ما هي عليه يُوقع الفرد في مصائب ذاتية في تصرفه الشخصي، كما يوقعه ذلك في مصائب تتجاوزه إلى المجتمع، أو الأمة، أو البلد الذي يعيش فيه، وذلك بالنسبة إلى ما يتصرف فيه الإنسان من شؤون الناس من مُلك، أو وزارة، أو قيادة جيش، أو سفارة. مثل الجهل بأخلاق بعض الأمم، أو بتاريخها، أو بأحوال بعض البلاد، وكذا عدم الاتعاظ بأحوال بعض الأمم الغابرة لتجنب أسباب الهلاك، قال تعالى:﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[3].

وهكذا يمكن القول بأن إصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله لتميزه عن الجماد بالإدراك، وعن سائر الحيوان بالعقل. فالعقل هو القوة الروحية التي يكون بها التفكير، ويجيء بعده الاشتغال بإصلاح العمل، وعلى هذين الإصلاحين مدار قوانين المجتمع الإسلامي [4].

الخاتمة: وتنقسم إلى النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، يعد معرفة أهمية ومكانة الدعوة الإسلامية وأثرها في إصلاح المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره من أهم ما تعرض له هذا البحث، وحتى لا أعيد ما سطرته في صلب البحث، ألخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1- اتضح من خلال البحث أن للدعوة الإسلامية مصادر تستقي منها الدعوة، ممّا يجب أن يستوعبها الدّاعي.

(1)ينظر: تفسير ابن باديس، ص 393. وأصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 104.

(2)الروم:9.

(3) النمل: 52.

(4) ينظر: تفسير ابن باديس، ص 101. وأصول النظام الاجتماعي، ابن عاشور، ص 79.

2- أنّ الأصول التي تنبني عليها الدعوة خمسة: الداعي والمدعو والموضوع والوسيلة والأسلوب.
3- ضرورة مراعاة أحوال المدعوين، وهذا لا يتحقّق إلاّ بمعرفة مناهج الدعوة الثلاثة العاطفي والعقلي والحسي.
4- أنّ العقيدة والأخلاق هما أساسان وسببان في إصلاح الأعمال والمجتمع كما قرر ذلك ابن عاشور وابن باديس.
5- تبيّن أنّ أهم قواعد تحقيق منهج الإصلاح الاجتماعي هي: تصحيح التفكير وإصلاح العقيدة والعبادات والنفس والأخلاق، وتحصيل النجاة في الدّارين، وحسن المعاملة بين الناس، وإصلاح الأحوال العامة للعالم، والحث على اكتساب العلم.
6- أنّ إصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله؛ لتميزه عن الجماد بالإدراك وعن سائر الحيوانات بالعقل.

التوصيات:

1- يوصي الباحث بالتدرج في علاج الفساد الاجتماعي وإصلاحه.
2- يوصي الباحث بالاجتهاد في وضع الخطة والبرامج العامة للإصلاح الاجتماعي.
3- ضرورة الربط بين علم الدعوة وعلم الاجتماع؛ لأنّ هذا التكامل بين هذين العلمين يحسن بالداعية ليتعامل بفطنة ومهارة في دعوة المجتمع لصلاح دينه ودنياه.

==========

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم الكوفي.

1. آثَارُ ابْن بَادِيسَ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تح: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط:1، عام 1388هـ - 1968م.

2. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ط: 3.

3. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي (ت 458هـ)، تح: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط:1، 1401ه.

4. باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق، د. عبد الحميد درويش النساج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2021م.

5. تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط:1، 1416هـ-1995م.

6. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.

7. الدعوة الإسلامية أصولها– وسائلها- أساليبها في القرآن الكريم. أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ناشرون، د.ط.

8. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة- دمشق، ط:5، 1414 هـ - 1993 م.

9. صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206-261 هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ - 1995 م.

10. فلسفة الإمام ابن باديس في الإصلاح والتجديد، د. بركات محمد مراد، بيت الحكمة- القاهرة، ط1، 1992م.

11. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711)، دار صادر – بيروت، ط:3، 1414هـ

12. مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى 646 هـ)، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت 756 هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط:1، 1424 هـ - 2004 م.

13. مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط: 3، س: 1435هـ-2014م.

14. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط:1، 1412 هـ

15. موطأ مالك ((ت: 179هـ)، المحقق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1994م.

16. وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، علاء الدين الزاكي، مجلة دراسات دعوية العدد 16، يونيو 2008م.